بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى، وبعد

إن الدعوة إلى الله مطلب عظيم، وغاية سامية، أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لأجلها فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: 45، 46] فالله جل وعلى أرسله إلى الناس كافة يدعوهم إلى عبادة ربهم، ويُرشدهم إلى الصراط المستقيم، ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام.

أيها القارئ الكريم، اعلم وفقك الله لكل خير أن الدعوة إلى الله لا بد وأن ترتكز على دعامة عظيمة، وركن متين؛ حتى تستقيم وتؤتي ثمارها اليانعة، وهذه الدعامة هي الحكمة.

والحكمة: هي الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة في وضع الأمور في موضعها الصحيح.

وتتمثل أهمية الحكمة في كونها:

1. من أهم الأسباب والوسائل التي تستخدم في الدعوة إلى الله، فنجد أن الله جل وعلا لما أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالدعوة إليه سبحانه؛ أمره أن يبدأ دعوته بالحكمة فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: 125].

2. ثم إن الناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان ملازماً للحكمة في كُلّ أموره، وفي جميع أحواله، لهذا أقبل الناس عليه، ودخلوا في دين الله أفواجاً وذلك بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم الذي ملأ الله قلبه إيماناً

وحكمة، فقد ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال: (فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ) الحديث.

3. ومن أعطاه الله الحكمة، فقد حاز فضلاً عظيماً، ونال خيرا كثير، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [البقرة:269] وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدنيا والآخرة.

4. ولعظيم شأن الحكمة؛ نجد أنها من الأمور التي يُحسد الإنسان عليها، كما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا).

ومعنى "هلكته في الحق": أي أنه أنفقه في وجوه الخير.

5. وقد ثبت عند البخاري من حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قَالَ ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ)، وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من أعلم الصحابة بتفسير القرآن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم.

إن الحكمة في الدعوة إلى الله لها أركان ودعائم لا تتحقق إلا بها وهي: العلم والحلم والأناة.

أما العلم: فهو أعظم أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: 19] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فدل على أن العلم شرط لصحتهما.

وأما الحلم: فلأنه صفة تقود صاحبها إلى ضبط النفس والطبع عند دواعي الغضب.

وأما الأناة: فهي مظهر من مظاهر خُلق الصبر، وتقود صاحبها نحو التصرف الحكيم من غير عجلة ولا تباطؤ.

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم هذين الخلقين فقال لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله.. الحلم والأناة) رواه أحمد.

إن الحكمة في الدعوة إلى الله لها درجات ومراتب:

1. فتارة تكون باستخدام الرفق واللين، والحلم والعفو، مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً بالأدلة، وهذه المرتبة تستخدم لجميع الأذكياء من البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.

2. وتارة تكون الحكمة باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، وهذه المرتبة تستخدم مع من يقبل الحق ويعترف به، ولكن عنده غفلة وشهوات وأهواء تصده عن اتباع الحق.

3. وتارة تكون الحكمة باستخدام الجدال بالتي هي أحسن، بحُسن خلق، ولطف، ولين كلام، وأن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد.

4. وتارة تكون الحكمة باستخدام القوة: بالكلام الغليظ، وبالضرب والتأديب وإقامة الحدود لمن كان له قوة وسلطة مشروعة مع مراعاة الضوابط والشروط التي دلَّ عليها الكتاب والسنة. وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد ظلم وطغى ووقف في طريق الحق.

5. وفي بعض الأحيان من الحكمة ترك طرح بعض الأحكام خشيةَ أن لا يستوعبها الناس ولا تُدركها عقولهم فيردوها، ويُكذبوا بها، أو يفهموها على غير حقيقتها ومرادها،

ولهذا قال علي رضي الله عنه في تقرير هذا الأصل: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ" رواه البخاري معلقاً، وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً).

فليس من الحكمة في شيء أن يعتني الداعية بإيراد الغرائب والمشتبهات على الناس بُغية أن يُشار إليه بالبنان، فيفتن الناس في دينهم.

6. وتارة تكون الحكمة بالكف عن بيان الحق خشية حصول فتنة، أو مفسدة أعظم من السكوت عن ذلك. ومن أمثلة ذلك في حياة سلفنا الصالح:

الموقف الأول:

أتى رجل ابن عباس فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فآمره وأنهاه؟

قال: لا تكن له فتنة.. (الأمر بالمعروف لابن أبي الدنيا ص128.).

الموقف الثاني:

قيل لسفيان الثوري –رحمه الله تعالى–: ألا تأتي السلطان فتأمره؟

قال: إذا انبثق البحر فمن يسَكّره؟ (الأمر بالمعروف للخلا ص41).

الموقف الثالث:

قيل للإمام أحمد –رحمه الله تعالى–. متى يجب على الرجل الأمر والنهي؟

قال: ليس هذا زمان نهي، إذا غيرت بلسانك فإن لم تستطع فبقلبك، وذلك أضعف الإيمان (الأمر بالمعروف للخلا ص41).

إذن الحكمة مهمة في مجال الدعوة إلى الله، لا بد أن يتحلى بها كل من أراد أن يدعو إلى الله جل وعلا، فمن خلالها يستطيع الداعية أن يُقدر الأمور، ويضعها في مواضعها.

ومن خلالها يستطيع الداعية إلى الله أن يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتون من قِبَلِها.

فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح للحق صدورهم، فينقادون إليه، ويُذعنون إلى الصواب.

أيها الأخوة ينبغي على كل داعية ومعلم ومرب أن يتحلى بهذه الصفة العظيمة، حتى يكون موفقاً مباركاً في عمله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كونوا ربّانيّين حكماء فقهاء". [والرباني: الذي يعلم صغار العلم قبل كباره].

وأوصى وهب بن منبّه أحدهم فقال له: "يا بنيّ عليك بالحكمة، فإنّ الخير في الحكمة كلّها، وتشرّف الصّغير على الكبير، والعبد على الحرّ، وتزيد السّيّد سؤددا، وتجلس الفقير مجالس الملوك".

رزقني الله وإياكم الحكمة والفقه في الدين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

@Baynoonanet
www.baynoona.net

الحكمة في الدعوة إلى الله

الشيخ علي بن سلمان يوسف الحمادي